

وهبته : ولكن ما الفائدة » .

هكذا نتعرف على علاقات الضحايا وهي تتلمس الإيقاع ، وسنظ دخان كثيف من الشمعات الكاذبة . وتتوالى الدوائر ، والناس في داخلها يبحثون عن نقاط ارتكاز ، لا نجد لها خارج علاقاتهم ببعضهم . أي تتسع هذه الدوائر دون أن تنكسر بمضييق الخناق . وتتحرك الاحداث برتابة حتى نصل الى سكونية كاملة في نهاية الرواية . لا يتداخل الزمن من أجل الولادة ، بل يتداخل كما في لحظة الموت . هنا تقع الرواية بأسرها . الخيبة كاملة نجثم بجسدها ولا تتزحزح ، لذلك لا قيمة للزمن . القيمة لسيكولوجيا الخيبة التي تتسحب من منى الى أمينة ، وتصل للكبت بالمعجز ، فيتجمع الأمل الثقافي بأسره حرقا .

ماذا يقع داخل هذا الزمن الميت سوى الموت نفسه ؟ وما قيمة العلاقات التي لا تستطيع الخروج من جدار الموت ؟ قيمتها في وجودها نفسه . لا قيمة خارج هذا المنطق الموحد . وأخيرا يصل البعد الروائي تاريخنا بسكونية الحاضر ، عند هذه اللحظة ، يتشقق الشعر ، ويبدأ في الامتداد حتى يسلب اللحظة فجائيتها .

### المدى الطويل

يكتب حيدر حيدر على مدى شاسع ، لا يضغط اللحظة ، بل يتركها تنساب بين الأصابع . فيتكرر الحدث الواحد بصيغ مختلفة . وتكرر المواقف . ويدخل الملل ركنا ليس له من حيث المبدأ . هذا المدى في الكتابة يحمل موقفا ، يكرر ، وليس النقد هنا . لكن التكرار حين يفقد معناه الرتيب ويصبح مجرد رتابة ، فانه يسلب رواية الموقف موقفها نفسه . ويجعلنا نضيع داخله متاهة من الاحداث التي يمكن حذف بعضها دون الاخلال بالرؤية الواحدة التي تجعل من هذا العمل رواية تجدد في صياغة الحزن والشهوة .

يلعب التكرار في بداية الرواية ، دور القدر على طي المواقف داخل الانا . لكن حين يصبح سمة عامة ، يعيق الجانب الاخر من الرواية . جانب الحركة الخلفية ، الحركة الواقعية ، التي تتجاوز الزمن السيكولوجي . فلو تحرك هذا الجانب بفعالية اكثر ، لاستوعب الحركة الرتيبة وقهرها في آلية واتعية مركبة . لكن اماتة هذه الحركة في

طعم الجنس الذي تحترق في داخله شهوة الحياة . شهوة الحياة هي مفتاح اللحظة الشعرية في رواية حيدر حيدر . حيث تمتد الى ما لا نهاية . تهز البرك الآسنة ، تحرك الخنايا ، ثم حين تلطم اغراضها لتمشي ، نكتشف اننا لم تكن خارج لحظة واحدة محددة . فالزمن المتداخل الذي تصيفه أحداث الرواية ، يعطي شعورا بالرتابة الصحراوية . تتحرك الرغبات في رمل لا تصله مياه البحر المالحة . لكن الزمن عوض ان يتناقل ليلف دفعة واحدة الماضي والمستقبل فانه يقع في لحظة حاضرة . لذلك كانت الكثافة الشعرية انفجارا داخل موقف واحد . أي انها لا تدعي لنفسها قدرة على صياغة حدث روائي داخل سلسلة من المواقف . بل تكتسفي بالمواقف ، تسكرها من داخلها في زمن سيكولوجي متحرك . نحن امام مجموعة من الاحداث . علاقات اجتماعية . خواطر . لكننا حين ننتهي من قراءة الرواية ، ونحاول القبض على احداثها لنستعيدنا ، تغلت الاحداث من بين ايدينا ، ولا يبقى سوى الصوت الشعري الذي يوجد ازمانا متداخلة في انشداد كامل نحو الداخل . لا هدف للحدث الروائي سوى الوصول الى أحد امرين : الحلم او الكابوس . لذلك لا يعلق في الذاكرة سواهما . وتعيد نحن صياغة هذا الحلم او الكابوس في حياتنا اليومية . هنا يقفز الشعر جاهلا لغة الدلالات ، ثم ينكسر امام الدلالات نفسها ، أي لا يبقى من الشعر سوى دلالاته وتسقط اللغة وحيدة في الخارج . نحن مع حيدر وابطله في عالم غريب من الرموز والدلالات . ننساق خلف الحلم ، ثم حين تأتي العناصر الواقعية التي تلتقطها الرواية من أحداث سياسية عشناها يفلت الحلم من أيدينا ونبقى في كابوس مرعب ، تعترضه شهوة الحياة . « في الحالة النواسية بين الشهادة والانسحاب كنت أتع « . ويصير العربي « في خسر » .

### داخل الموت

هذه العلاقات التي تجعل من الحدث الروائي ، مجرد صدى للشعر ، تقوم بنقلنا الى داخل الموت ، حيث نعود الى عملية اكتشاف ذاتية حسادة : « العربي مصاب بعقدة استغلال الألم » . ثم حين نصل الى فلسطين ، نستمع الى رؤيا الضحايا : « وقتك بسرمة : انك احد ابطال فلسطين وقال : بل قل أحد الضحايا